

ربع قرن على رحيل «حسني البورطان» نهاد قلعي.. أحب الفن فسرى في عروقه وأزهر بنفسجاً وريحاناً وضى من أجله بسنوات عمره



وعندما بدأت أردتي ملابس، اكتشفت أنها ناقصة، فهرعت أبحت عنها في غرف الزملاء لكن دون جدوى. وما كان مني إلا أن ركلت الباب بقدمي لشدة الغضب، ولم يكن يكسوها سوى نعل خفيف، فانكسر الباب، وانكسرت قدمي. وتم إحضار الأطباء على الفور، فقررنا بالإجماع منعي من الحركة. وجدت نفسي في حيرة من أمري، لكنني قررت أن أقدم المسرحية رغم كل شيء.

وصيته الأخيرة

قبل أيام قليلة، أجرت مها قلعي ابنة الفنان الراحل حواراً مع إذاعة «ميلودي إف إم» أكدت فيه أنها غير راضية عن مشاركة والدها في مسرحية «غربة»، والظروف المادية أجبرته على العمل فيها، وقالت: مسرحية (غربة) بالنسبة لي خط أحمر، ونصحت والدي مراراً وتكراراً بعدم المشاركة بهذا العمل. فولدي ظلم في حياته وفي مسرحية غربة تحديداً، وكانت سبب بكائه، وسألوني في إحدى المرات لماذا كان دور والدك صغيراً في مسرحية غربة؟ فأجبتهم: لا يوجد دور كبير ودور صغير.. يوجد فنان كبير وفنان صغير.

وأوضحت أن مسرحية «ضبعة تشرين» بدلت فيها الأدوار قبل ١٥ يوماً من العرض، حيث كان من المفترض أن يقوم والدي بتأدية دور «أبو صالح» وأن يقوم الفنان القدير دريد لحام بتأدية دور «المختار».

وعبرت قلعي عن عجزها لتترك والدها المسرح القومي رغبة منه في استمرار الفنانة مع الفنان القدير دريد لحام، وأشارت إلى أن الفنانة تادية لمفي جاءت من مصر إلى لبنان بعد أن كانوا قد أنهبوا فيلم «الرجل المناسب»، وكانت قد عرضت عليه المشاركة بأكثر من فيلم، لكنه رفض رغبة بالبقاء في الفنانة.

وأكدت أن والدها خاب ظنه بأصدقائه بعد توقعه أنهم سيفقون إلى جانبه في مرضه، علماً أن هناك بعض الشخصيات الفنية لم تفارقه خلال تلك الفترة مثل رفيق سبيعي وسهيل عرفة والكاتب عمر حلي.

وكشفت قلعي عن وصية والدها قبل وفاته، حيث طلب أن يبقى في الجراد ٤٨ ساعة ولا يدفن مباشرة، وقالت قلعي: سمع والدي من عمه الدكتور وحيد حقي قصة رجل استيقظ بعد أن دفن، لذلك خاف أن يستيقظ وهو في القبر.

تكريمات

كرم السيد الرئيس بشار الأسد عام ٢٠٠٨ كل من الفنانين نهاد قلعي ورفيق سبيعي وعبد الطيف قحبي بمنحهم وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة وذلك لإنجازاتهم في خدمة الفن.

وقبل شهر، كرمت وزارة الثقافة عائلة الفنان الراحل تقديراً لدورها بالحفاظ على تراثه.

بدورها أقامت جمعية أصدقاء دمشق بالتعاون مع مكتبة الأسد الوطنية قبل ثلاث سنوات حفلاً تكريمياً للفنان الراحل بمناسبة مرور اثنين وعشرين عاماً على رحيله تقديراً لمسيرته الفنية والأعمال التي ساهمت في إرساء دعائم الدراما السورية، وتم الإعلان في نهاية الاحتفال عن موافقة مجلس محافظة دمشق على تسمية شارع في منطقة المهاجرين مكان إقامة الراحل نهاد قلعي باسمه.

قبل وفاته أوصى بأن يبقى في الجراد ٤٨ ساعة ولا يدفن مباشرة خوفاً من الاستيقاظ في القبر

تكون ثنائياً آخر لأنه كان هناك توافق جعلنا واحداً. وقد تكون تجربة الفنان الشهير أول وآخر تجربة كوميدية عربية تمكنت من تحقيق شرط الإبداع المعجز في القدرة على الإضحاك وتقديم مضمون فني هادف في أن واحد وعكس كثيراً من جوانب حياة الإنسان العربي بسليباتها ومخاطباتها.

كل الرضا

في آخر تصريحاته قبل وفاته بأيام قليلة يقول قلعي: «أعيش حالياً جواً من الإحباط، لكنني لو عدت إلى بداياتي، وقيد لي أن أختار حياة جديدة، لما اخترت غير الطريق الذي سلكته، رغم مرارته ووعورته في أحيان كثيرة، باستطاعتي القول إنني لست نادماً على شيء».

وأضاف: أنا راض كل الرضا، لأنني بذلت كل جهدي، وقدمت كل ما استطعت، ولا أظن أنني فشلت، قد لا أكون حققت النجاح الذي أطمح إليه، ويطمح إليه كل مبدع في فنانه نفسه، لكن إنجازاتي تتناسب مع الإمكانيات التي أتاحت لي على أرض الواقع.

وفي سؤال إن كان أكثر ميلاً إلى السينما والتلفزيون من المسرح قال إن كل هذه الفنون مترابطة. لكنني استمعت في العمل المسرحي أكثر، لأنني أنجح في التواصل مع الناس عبر الحضور الحي، واستطيع أن أفسر رد فعل المشاهدين في الصالة بشكل مباشر. وهذه المتعة لا تضاهيها أي متعة أخرى في العالم!

وأضاف: لا أحد يستطيع أن ينكر دور التلفزيون في عصرنا هذا، فنحن نعيش زمن التلفزيون، لكن الآراء والمواقف تختلف حول حسنات هذه الوسيلة وسليباتها. أنا أرى في الذهاب إلى السينما مع زوجتي وأولادي، طقساً من الطقوس الاجتماعية، وخاصة أنني أختار الفيلم بنفسني وأذهب إليه. أما التلفزيون، فيمكن مشاهدته في المنزل وأنت تمارس حياتك اليومية، كما أنه يفرض عليك برامج.

حادثة طريفة

يرد نهاد قلعي حادثة طريفة يؤكد أنها جديرة بأنها تروى فيقول: طلبت مني وزارة الثقافة ذات يوم عرض مسرحية «البورجوازي النبيل»، تكريماً للطلبة الذين حصلوا على مراتب عليا في جميع الكليات السورية، وذلك في إطار الاحتفالات التي أقيمت في مناسبة وصول ناظم القدسي إلى سدة الرئاسة واستلام خالد العظم مقاليد رئاسة الوزراء.

وفي اليوم المحدد، قبل ساعة من موعد بدء العرض، توجهت إلى «مسرح القباية» للتأكد من أن مسؤولية الملابس جهزت جميع الملابس والأكسسوارات المطلوبة للمسرحية. كنت متوتراً، مضطرباً، والرهبة تملؤني.



وائل العدس

هو عميد ضحككتنا الذي أثبت أن الغياب ليس بقادر على أن يخفي إبداع من عشق موهبته، مرت الذكرى الخامسة والعشرون لرحيله عن دنيانا إلى عالم الخلود الفني بين عظماء الكوميديا في العالم. من منا لم يسمع بالقولقة الشهيرة: «إذا أردنا أن نعرف ماذا في إيطاليا فيجب علينا أن نعرف ماذا في البرازيل». طبعاً القولقة ليست لشكسبير أو أرسطو وإنما مقولة فنان الكوميديا نهاد قلعي في شخصية «حسني البورطان»، تلك الشخصية التي عاشت معنا في طفولتنا وداخلت بيوتنا كما دخلت قلوبنا وكبرنا معها ولا تزال الأجيال تتابع مسلسلاته وأفلامه مع ثنائيه دريد لحام.

يذكر الجمهور العربي جيداً ملامح الفنان السوري نهاد قلعي الذي ما زالت شخصيته المعروفة «حسني البورطان» حاضرة في الأذهان، كما يذكر مقالته المضحكة مع قرينه دريد لحام المشهور بـ«غوار الطوشة»، لكن من يذكر أن قلعي هو أول مدير لدالمسرح القومي السوري أواخر الخمسينيات، وأحد الذين أسسوا للحركة المسرحية العربية الحديثة؟

أحب الفن فسرى هذا الحب في عروقه وأزهر بنفسجاً وريحاناً، وضى من أجله بسنوات عمره التي كرسها له.

٢٥ عاماً مرت على وفاة الفنان الكبير الذي رحل عن خمسة وستين عاماً تاركاً إرثاً ثقافياً سيخلده مدى الدهر.

سيرة حياته

ولد نهاد قلعي في دمشق في حي ساروجة - حارة قولي في صيف ١٩٢٨، واسمه الكامل حسب الهوية الشخصية نهاد قلعي الخربوطي، والده محمد رفقي والدته بديرة العطر، انتسب إلى مدرسة البخاري القريبة من دار الأسرة، وكانته المدرسة تعد طلابها إعداداً علمياً وأخلاقياً عالياً، وتولمهم لإلقاء الخطب والقصاصات في المناسبات.

أطلق على نفسه اسم «حسني البورطان» عن طريق المصادفة في برنامج «سهرة دمشق» حيث كان اسمه فيها حسني وفي إحدى المرات نسي الحوار فسعى لإطالة الحوار قليلاً كي يعود ويتذكر ما سبقول وإذ به يرى خلف الكواليس عالماً فاضلاً يحمل بورطاناً فقال عن نفسه أنه حسني البورطان وإذ بالجمهور يعجب بهذا اللقب فيلتصق به طوال حياته.

أحب التمثيل منذ نعومة أظفاره وكان شديد الإعجاب بالفنان عبد الطيف قحبي، وبعد أن أنهى دراسته الابتدائية انتسب إلى مدرسة التجهيز الأولى وفيها تتلمذ على يدي الفنان عبد الوهاب أبو السعود الذي كان يدرّب الطلاب على أداء أدوارهم في التمثيليات التي تقدم في نهاية السنة الدراسية، وكان نهاد يؤدي فيها أدواره بنجاح كبير، عندما

أكمل دراسته الثانوية كان أبوه قد أحيل على التقاعد فاضطر لترك المدرسة والعمل، ولأنه كان مولعاً بالتمثيل باهر إلى معهد التمثيل بالقاهرة لانتساب إليه بتشجيع من خاله الفنان توفيق العطر، فباعت الأسرة ما يلزم لتأمين سفر ابنها إلا أن المبلغ نشل منه وكانت كارثة كبرى بالنسبة إليه. بعد ذلك اضطر للعمل مراقباً في معمل للمعرونة ثم أحيى الميدان، ثم صارياً على الآلة الكاتبة في الجامعة ثم انتقل بعدها إلى وزارة الدفاع، وعمل مساعداً لمخلص جمري طوال خمس سنوات، ثم عمل لحسابه الخاص، وظل يمارس عمله هذا إلى أن بدأ حياته الفنية.

بداياته الفنية

كانت الخطوة المهمة في حياة نهاد قلعي الفنية عام ١٩٤٦ مع نادي «البرق» الكائن في ساحة المرجة وفي هذا النادي شارك بتقديم مسرحية عنوانها «جيشنا السوري» وفي عام ١٩٥٤ قام بتأسيس (النادي الشرقي) وكانت أولى المسرحيات التي قدمها تحمل عنوان «الاستاذ كلينوف» وأخذ فيها دوراً كوميدياً، ثم قدم مسرحية «زنوبيا» التي ألحقت بالنادي كارثة مادية كبيرة ظل بعدها سنوات عديدة يسد ما تراكم عليه من ديون بسببها.

في عام ١٩٥٧ قدم النادي في القاهرة مسرحية «لولا النساء» ولقيت إقبالا جماهيرياً كبيراً ونجاحاً باهراً. وفي شباط من العام ١٩٥٩ قدم النادي أيضاً على مسرح الأزيكية بالقاهرة مسرحية بعنوان «ثمن الحرية». وفي العام ذاته كلفته وزارة الثقافة والإرشاد القومي بتأسيس مسرح قومي في سورية.

مع التلفزيون

مع افتتاح التلفزيون العربي السوري في ٢٣ تموز ١٩٦٠ بدأ قلعي يتألق حيث التقى الفنان الكبير دريد لحام واستمرت مسيرتهما الفنية ستة عشر عاماً إذ قدم برنامجاً متنوعاً اسمه «الأسرة السعيدة»، وشاركه في التقديم لحام ومحمود جبر وغزالي الخالدي ونجاح باتوك، وقد شجع مدير التلفزيون آنذاك الدكتور صباح قباي دريد ونهاد على تأليف ثنائي فني وتوقع لهما النجاح، وهذا ما حدث بالفعل، ثم تحول هذا البرنامج إلى برنامج آخر باسم «سهرة دمشق» الذي انضم إليه الفنان رفيق سبيعي وشكل البرنامج أول تعاون رسمي بين الفنانين القديرين «دريد ونهاد» ولقي نجاحاً متميزاً.

ومن أهم الأعمال المتميزة لهما: «عقد اللؤلؤ» ثم «مقابل غوار» و«حمام الهنا» و«صح النوم» وهذه الأعمال لقيت إعجاباً جماهيرياً وما زلنا نتفرج بشغف إلى بعض الحلقات التي تعرض على شاشة التلفاز بين الفنية والأخرى. وفي السينما اشركا في واحد وعشرين فيلماً منها «عقد

اللؤلؤ» و«لقاء في تدمر» و«الشريدان» و«المليونيرة والنصابين الثلاثة» و«وخياط اللسيدات» و«الرجل المناسب» و«مسك وعنبر» وفيلم «صح النوم» عام ١٩٧٥. في عام ١٩٧٤ قدما مسرحية «ضبعة تشرين» من تأليف محمد الماغوط وكانت من أجمل الأعمال المشتركة بين الفنانين الكبيرين وفي عام ١٩٧٦ قدما مسرحية «غربة».

ثنائي لا يتكرر

شكل الثنائي الكبير دريد ونهاد ثنائية عظيمة تنتمي إلى طراز التجارب الناجحة غير قابلة للزيادة أو الاستعادة وهي لم تعد ملكاً لأي طرف ولا للمساهمين فيها بل باتت ملك التاريخ والذاكرة.

ولم تكن هذه الثنائية لتتجح لولا جهود بطلها الكبيرين اللذين أسسا لواقع الكوميديا السورية كما تراهنا اليوم استناداً إلى عبارة «نحن بحاجة لعمرين عمر نتعلم فيهم وعن لعيش» التي قالها الفنان قلعي الفنان الإنسان القادم من شتى تجارب الحياة المختلفة والذي مر على عدة مهن ووظائف وبنى أحلاماً وشرع آمالاً وصال وجال من دون أن يدري أن القدر لن يفيض عليه إلا بعمر واحد كان عليه أن يتعلم ويعمل ويعيش ويتألم فيه.

وكانت حياة قلعي مملوءة بالتجارب الزاخرة التي كان أبرزها عمله برفقة الكبير دريد لحام ضمن أعظم ثنائية فنية عرفها الوطن العربي في القرن العشرين تلك الثنائية التي ما زالت نابضة حية تستعد في كل حين ومناسبة على الرغم من قصر عمرها إذ إنها لم تتجاوز ستة عشر عاماً من العمل المشترك.

وكان للإعلامي صباح قباي الفضل في اللقاء الأول بين الفنانين الكبيرين حيث دفعهما حب المغامرة لاستمرار وعن هذا يقول لحام في حوار أورده كتاب دريد ونهاد: اعتبر أن ما دفعني إلى طريق الفن والتحالف الفني مع نهاد قلعي هو حب المغامرة، تبيننا الفن من دون تفكير ومن دون أن نرصد أو يدرسنس، جمعنا استديو التلفزيون السوري وأصبحتنا أصدقاء منذ اللقاء الأول ولم تقرر بأننا سوف نستمر معاً الاستمرار جاء مصادفة.

يتابع حديثه عن ثنائيته مع قلعي: الأستاذ نهاد قلعي وأنا لا نشبه أحداً الآخر لكن داخل الشاشة كنا أصدقاء لكن لم ننعش معاً لأن كل شخص كان لديه فلسفته ولديه أسلوب في الحياة مختلف عن الآخر والفن جمعنا وكان الراحل قلعي هو من باهر وتكتب بيده (دريد ونهاد) لأول مرة. ويشير الفنان لحام إلى أنه عندما توقف قلعي نتيجة مرضه عرض بعضهم أن تشكل ثنائياً جديداً لكن كنت أقول لهم إن المسألة ليست مسألة شخص سمين مكان شخص سمين أو شخص رفيع مكان شخص رفيع، فانا لا أستطيع تبديل الأستاذ نهاد وهو لا يستطيع تبديلي، من المستحيل أن

مكونات البنية الدرامية وتطورها في الشعر السوري المعاصر

لتجلية عنصر الصراع الذي تحفل به الأحداث والشخصيات، وتم في هذا الفصل الكشف عن المستويات التي يتخظهر فيها الحوار الدرامي وآليات توظيفه في القصيدة، وقد رصدنا نوعين رئيسيين من الحوار، هما الحوار الخارجي، والحوار الداخلي ولكل منهما تقنيات وكيفيات تم رصدها، بهدف بيان مدى قدرتها على تجلية الزعامة الدرامية في الشعر السوري المعاصر، وأثرها فيه على المستويين الفني والدلالي.

موازنة ضمنية

بين الأجيال الشعرية المتلاحقة

وأخيراً لا بد من الإشارة إلى أمرين مهمين في هذا البحث أولهما أن هذه المكونات الدرامية التي عزل كل منها في فصل مستقل، هي مكونات شديدة التداخل فيما بينها، وعزلها عن غيرها لا يمكن إلا بهدف البحث والتحخيص وإجراء الدرس النقدي، وقد تم رصدها في إطار التفاعل مع المكونات الدرامية الأخرى، وبيان أثرها في البناء الدرامي كلها عبر تضارفاها مع غيرها من المكونات، وثانيتها أن ترتيب هذه الفصول والعناصر الجزئية فيه، تم في إطار لحظ التطور الحاصل في استخدام هذه التقنية أو تلك، ولا يفوتنا أن نذكر أننا أجرينا في كل فصل موازنة ضمنية بين الأجيال الشعرية المتلاحقة ابتداء من جيل الرواد وحتى جيل التسعينيات من حيث استخدام المكونات الدرامية، فضلاً عن رصد استمرارية استخدام المكون الدرامي وتقنياته عند شعراء الجيل الواحد.



الشاعر أو إخفاقه في توظيفها، ورصدنا جوانب التطور في استخدامها، بما يضيف على إبداعه شيئاً من التعدد والاختلاف والتكامل والغموض الفني الشفاف.

المستويات التي يتمظهر فيها الحوار الدرامي

والفصل الثالث تناول فيه تقنية الحوار الدرامي التي وظفها الشاعر السوري المعاصر في سبيل تظهير الدراما، عبر مسرحية الأفعال والأفكار

الشاعر السوري المعاصر وظف الحوار الدرامي خدمة للدراما

وفي الفصل الثاني تتبع الكتاب أنماط حضور الشخصية في الشعر السوري المعاصر، ورصد أثر الحضور في درامية القصيدة، من خلال تحديد موقع الشاعر من الشخصية وموقفه منها، فهو إما أن يتحدث عنها، وإما أن يتحدث إليها، فهو إما أن يتحدث عنها، وإما أن يتحدث عنها إليها، وإما أن يتحدث بلسانها، فيفتتح بها، كما تقصينا في هذا الفصل تقنية القناع التي يستخدمها الشاعر بوصفها وسيلة درامية تنأى به عن الوقوع في الغنائية والمباشرة، وتضفي على صوته نبرة موضوعية، وتنتج مدى نجاح



جمال أبو سمرة

أن يكون الشاعر هو الراوي للحدث، ويمكن أن يستعين بصوات أخرى يبتدعها تقوم هي برواية الحدث، وبناء عليه رصد أثر ذلك في إسباب الخطاب الشعري منحي درامياً، بتواتر صعوداً وهبوطاً حسب موقع الشاعر منه، كما رصد الكتاب أنواع الحدث من حيث هو حدث بسيط أو حدث مركب والتجليات التي حضر بها كل نوع، فضلاً عن رصدنا الآلية التي بنى بها الشاعر السوري الحدث (الحجبة)، كل ذلك في إطار تجلية الصراع وحركة الفواعل في النص الشعري.

مكونات البنية الدرامية في الشعر

هذه الدراسة النقدية مهمة حيث تحوز قصب السبق في التفاتنا إلى الشعر السوري المعاصر من جهة وتناولها قضية مهمة قلما التفت إليها النقاد، تجلت عبر دراسة مكونات البنية الدرامية في الشعر السوري المعاصر، فضلاً عن رصد حركة تطورهما عبر روح من الزمن، من جهة أخرى، ما أتاح للباحث تلمس جوانب هذا التطور، عبر مقارنة نقدية مكنته من استقصاء الأنبيات والتقنيات الدرامية التي لم تأخذ حظها من الدراسة والنقد والتحليل، والتي اعتمدها الشاعر السوري في سبيل الوصول بإبداعه إلى مرتبة درامية، للتخلص من المباشرة والتقريبية والخطابية التي هيمنت على بنية القصيدة الغنائية.

ومما يحسب لهذه الدراسة أيضاً إحاطتها بإنتاج عدد من الشعراء السوريين، قلما التفتت الدراسات الأدبية والنقدية إلى نتاجاتهم الإبداعية، إذ إن مثل هذه الدراسات ظلت حكراً على إنتاج الشعراء الرواد ومن تلاهم من جيل الستينيات، من هنا تبرز أهمية البحث في تقصي إنتاج هؤلاء الشعراء جنباً إلى جنب مع الشعراء الذين تلوهم من الأجيال اللاحقة حتى وقتنا الراهن، الأمر الذي أدى إلى الوصول إلى نتائج جديدة ومهمة في هذا الباب.

إسباب الخطاب الشعري منحي درامياً

وفي الفصل الأول تتبع الكتاب درامية الحدث عبر الكشف عن موقع الشاعر منه، إذ يمكن

سارة سلامة

«مكونات البنية الدرامية وتطورها في الشعر السوري المعاصر»، كتاب صدر حديثاً عن الهيئة العامة السورية للكتاب، للدكتور جمال جميل أبو سمرة، ويبحث فيه البنية الدرامية في الشعر السوري منذ خمسينيات القرن الماضي بمرحلة ظهور فرسان الحدائة الشعرية الذين وضعوا حجر الأساس للقصيدة المعاصرة حتى اليوم.

وينقسم الكتاب إلى خمسة فصول هي: «الحدث الدرامي في الشعر السوري المعاصر، والشخصية الدرامية، والحوار»، وتعدد الأصوات، والمفارقة»، ويقع في ٥٥٢ صفحة من القطع الكبير، ويضيء الكتاب على عدد كبير من شعراء الحدائة الجدد لأهمية شعرهم من جهة ولاتفاقه مع مادة البحث من جهة أخرى، ويميز بين مصطلحي الدراما والدرامية، وحدد علاقة الشعر بالدراما، كما تطرق إلى مراحل تطور الشعر وصولاً إلى التعبير الدرامي.